

المنهج الوصفي؛ مفهومه، وأساليبه، ومجالاته

الباحث: د. هشام البدرى
باحث في العلوم الشرعية ومناهجها
المملكة المغربية

الملخص:

يعتبر البحث في مجال المناهج العلمية من الأهمية بمكان؛ حيث تعتبر من الأسس والقواعد التي لا بد للباحث أن يعتمد عليها في إعداد بحثه إعداداً علمياً دقيقاً .

ومن بين هذه المناهج العلمية المعتبرة والتي لا يحسن بطالب العلم أن يجهلها؛ (المنهج الوصفي)، الذي اخترته عنواناً لمقالتي، والذي حاولت من خلاله أن أجلي بعضاً من جوانب هذا المنهج العلمي المتميز، وذلك من خلال مبحثين اثنين؛

المبحث الأول: تحديد مفاهيم ومصطلحات المقالة؛

- مفهوم المنهج لغة

- مفهوم المنهج اصطلاحاً

- مفهوم المنهج الوصفي

المبحث الثاني: أساليب المنهج الوصفي ومجالات توظيفه

أساليب المنهج الوصفي

مجالات توظيف المنهج الوصفي

خاتمة: خلصت فيها إلى أن المنهج الوصفي هو من أهم المناهج العلمية التي تساعد الباحث على معرفة حقائق الموضوعات العلمية؛ سواء كانت مفاهيم ومصطلحات، أو أعلاماً، أو كتباً، أو غير ذلك من المجالات؛ فلا تحليل، ولا مقارنة، ولا تأريخ، إلا بعد وصف وتشخيص ما نريد دراسته، ومعرفة عناصره، وخصائصه.

الكلمات المفتاحية: المناهج – المنهج الوصفي – الأساليب – المجالات.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى
التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إن دراسة المناهج العلمية بشكل عام بالنسبة للباحثين في سائر العلوم والفنون من الأهمية بمكان؛
حيث تعتبر من الأسس والقواعد التي لا بد للباحث أن يعتمد عليها في إعداد بحثه إعداداً علمياً دقيقاً.
ويمكن أن نشير إلى أهميتها وبيان قيمتها في المادة المعرفية من خلال ما يلي:

- تحقيق الأهداف بكل دقة ووضوح.
- تمكين الباحث من التحكم في المادة المعرفية، واستخلاص المطلوب منها بغير اضطراب أو غبش.
- تخليص الباحث من التركيز على الكم المعرفي.
- تسديد جهود الباحثين.

ومن بين هذه المناهج العلمية المعتبرة والمعتمدة في مجال البحث العلمي، والتي لا يحسن بطالب
العلم أن يجهلها؛ (المنهج الوصفي)، الذي اخترته عنواناً لمقالتي، والتي وسمتها بـ (المنهج الوصفي؛
مفهومه، وأساليبه، ومجالاته)؛ حاولت من خلالها أن أجلي بعضاً من جوانب هذا المنهج العلمي الهام
سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد والعون والرشاد إنه نعم المولى ونعم النصير.

1. تحديد مفاهيم ومصطلحات المقالة

يبرز هذا المبحث معاني بعض الكلمات المفتاحية الواردة في هذه المقالة وذلك في المطالب الآتية؛

1.1. المعنى اللغوي للمنهج

قال ابن فارس " (395 هـ): نهج: النون، والهاء، والجيم؛ أصلان متباينان: الأول: النهج: الطريق، ونهج
لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج. والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج. والآخر الانقطاع. وأتانا
فلان ينهج: إذا أتى مبهوراً منقطع النفس"¹.

وأنهج الطريق؛ أي: استبان وصار نهجا واضحا بينا، ونهجت الطريق: إذا أبنته وأوضحته².

وفلان يستنهج سبيل فلان؛ أي: يسلك مسلكه، والنهج: ((الطريق المستقيم))³.

1 - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة: (نهج).

2 - الجوهري: الصحاح، مادة: (ن. هـ. ج.)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج 1، ص: 346،
دار الكتاب العربي، مصر، 1956م.

3 - أحمد رضا: معجم متن اللغة، ج 5، ص: 557، مادة (ن. هـ. ج.)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.

وورد أيضا بدائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي: أن النهج هو الطريق الواضح¹.
ويتضح من خلال هذه التعريفات أن لفظ المنهج والمنهاج يدل على الطريق الواضح.

2.1. المعنى الاصطلاحي للمنهج:

عرف (المنهج) في معناه الاصطلاحي بعدة تعريفات سأقتصر على بعض منها:

– تعريف الدكتور فريد الأنصاري:

عرف الدكتور فريد الأنصاري (المنهج) بقوله: "المنهج بمعناه العام: هو منطق كلي يحكم العمل العلمي، ويوجهه منذ أن يكون فكرة؛ حتى يصير بناء قائما: اعتمادا على أصول وقواعد تشكل في مجملها نسقا متكاملًا؛ هو المسمى بأصول البحث العلمي"².

ويتبين من خلال هذا التعريف: "أن المنهج يتضمن ثلاثة عناصر:

أ – المنهج: هو نسق ومنطق عام يضمن التناسق، والوضوح، والدقة؛

ب – سواء في مرحلة التفكير، أو في مرحلة الإنجاز والعمل؛

ت – وذلك مرتبط بمجموعة من الأصول والقواعد التي توجه التفكير والعمل"³.

– تعريف الدكتور وهيب الجبوري:

عرف الدكتور وهيب الجبوري المنهج بقوله: "المنهج: طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة"⁴.
"من خلال هذا التعريف يتبين أن: (المنهج) حافظ على المعنى اللغوي، لكن التعريف أضاف أن هذه الطريق لها غاية، وهي الوصول إلى الحقيقة. والمقصود هنا بالحقيقة: الحقيقة القائمة على الدليل والبرهان. والمقصود بالطريق في السياق الاصطلاحي: مجموعة من الخطوات الدقيقة، والإجراءات العلمية الموصلة إلى الحقيقة. ويحمل معنى الحقيقة عن طريق مفهوم المخالفة، الابتعاد عن التمثلات التي تكون مبنية على الانطباع البعيد عن الأدلة العلمية، والبراهين الموضوعية"⁵.

¹ - محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، ج 10، ص: 379 – 380، مادة (ن هـ. ج.) ط 3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1971م.

² - فريد الأنصاري: أبجديات البحث في العلوم الشرعية؛ محاولة في التأصيل المنهجي، ص: 30، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية مصر العربية، ط 1، 1431 هـ / 2010م.

³ - سعيد حليم: مناهج البحث في العلوم الشرعية، ص: 82، ط 1، مطبعة أنفو برانت فاس، 2020م.

⁴ - وهيب الجبوري: منهج البحث وتحقيق النصوص، ص: 23، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993م.

⁵ - سعيد حليم: مناهج البحث في العلوم الشرعية، ص: 82.

- تعريف الدكتور رشدي فكار:

عرف الدكتور رشدي فكار المنهج بقوله: " المنهج باستعماله... الاصطلاحي... طريقة تصرف ما؛ فكراً، وعملاً"¹. وقال في موضع آخر: " لا يمكن إغفال... المفهوم الفلسفي للمنهج باعتباره أنه مسيرة عقلانية؛ بغية الوصول على الحقيقة، أو المعرفة، أو البرهنة على الحقيقة"². وبناء على هذه التعاريف وغيرها حدد بعض الباحثين³ في مناهج العلوم الشرعية؛ مفهوم المنهج في ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: المنهج باعتباره استراتيجية للتفكير والعمل...

المستوى الثاني: باعتباره مجموعة من الخطوات والإجراءات العلمية التي يتبعها الباحث لحل إشكال البحث، وتحقيق الأهداف المسطرة من البحث...

المستوى الثالث: المنهج باعتباره مجموعة من الإجراءات التقنية؛ تعين على تنظيم البحث في أبواب أو فصول، أو مباحث، أو مطالب...

وقد لوحظ أن الاستخدام المعاصر لكلمة (منهج) يعرف تعددا في الدلالة، وخلطا في الاستعمال، ((حيث نجد أنه يستخدم بدلالات متنوعة، فتارة يكون مرادفا للنموذج المعرفي والرؤية الكلية للإنسان والكون والحياة، فيقال: **المنهج الإسلامي**، وأخرى يرادف موضوعا أو تخصصا فيقال: **المنهج الاقتصادي في الإسلام**، أو **المنهج السياسي في الإسلام**، ويقصد به علم الاقتصاد أو علم السياسة عند المسلمين، وثالثة يرادف المذهبية فيقال: **منهج المعتزلة أو الأحناف أو الحنابلة**، ورابعة يرادف أسلوب البحث الذي يتبعه [يتبعه] فرد أو مفكر معين فيقال: **منهج ابن تيمية في كذا**، ونادرا ما يستخدم في دلالة تقترب من المعنى الذي يركز على وسائل أو طرائق البحث العلمي، وهذه أيضا قضية تحتاج إلى ضبط لتحديد دلالة المصطلح بين المتعاملين به"⁴.

1 - رشدي فكار: المنهجية والحوار ص: 17.

2 - نفسه: ص: 18.

3 - سعيد حليم: مناهج البحث في العلوم الشرعية ص: 83 - 84.

4 - مصطفى صادق: منهاج تدريس الفقه، ص: 50 - 51. نقلا عن عارف. ((تقديم)) ندوة قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية))، ص: 9.

والدلالة المستخدمة نادرا هي المقصودة هنا¹؛ ((يعرف المنهج في البحوث العلمية بعبارة موجزة بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين))².

3.1. مفهوم المنهج الوصفي:

يعرف الباحثون المنهج الوصفي بعدة تعريفات، والتعريف الي الذي ارتضيته في هذه المقالة هو تعريف الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله؛ حيث عرفه بقوله: "عملية تقدم بها المادة العلمية، كما هي في الواقع، إنه عمل تقريرى، يعرض موضوع البحث، عرضا إخباريا، بلا تعليل أو تفسير"³؛ حيث "يكون في نهاية المطاف، عبارة عن دليل علمي، يهدي إلى القضايا، أو الموضوعات، أو المصطلحات، أو الإشكالات العلمية، فيصفها كما أو كيفاً، أو هما معا، بطريقة منهجية، دون أن يبدي رأيا تحليليا، أو تفسيريا لوضعها وطبيعتها.

فالمنهج الوصفي إذن يقوم على استقراء المواد العلمية، التي تخدم إشكالا ما، أو قضية ما وعرضها عرضا، مرتبا ترتيبا منهجيا"⁴.

ومن خلال تعريف الدكتور فريد الأنصاري وغيره يتضح للباحث أن(المنهج الوصفي) يشتمل على مجموعة من أساليب البحث العلمي، وهذا ما سنعمل على بيان بعض منها في المبحث الآتي:

2. أساليب المنهج الوصفي، ومجالات توظيفه

1.1. أساليب المنهج الوصفي

يقوم المنهج الوصفي على مجموعة من الأساليب التي تم استنباطها من تعاريف العلماء له منها:
أ- "تقرير، ووصف ما هو موجود في مجال علمي محدد، أو مجال واقعي معيش، بدون تفسير أو تعليل"⁵. وهذا الأسلوب هو الذي يعبر عنه الباحثون ب(أسلوب المسح) أو (الدراسات المسحية) Survey وعادة ما يوظف هذا الأسلوب في تشخيص، وكشف ما لم يكن معروفا، أو جمع ما كان مفرقا؛ ويطبق [...] في كثير من الدراسات من أجل:

- وصف الوضع القائم للظاهرة بشكل تفصيلي ودقيق.

1 - مصطفى صادق: منهاج تدريس الفقه، ص: 50-51.

2 - أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم: منهج البحث في الفقه الإسلامي: خصائصه ونقائصه، ص: 15، بيروت: دار ابن حزم؛ مكة المكرمة، المكتبة المكية، 2000م

3- فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص: 81.

4 - سعيد حليم: منهاج البحث في العلوم الشرعية، ص: 100.

5 - نفسه، ص: 101

- مقارنة الظاهرة موضوع البحث بمستويات ومعايير يتم اختيارها للتعرف على خصائص الظاهرة المدروسة.
- تحديد الوسائل والإجراءات التي من شأنها تحسين وتطوير الوضع القائم.
- ويطبق أسلوب المسح عادة على نطاق جغرافي كبير أو صغير، وقد يكون مسحاً شاملاً، أو بطريقة العينة، وفي أغلب الأحيان تستخدم فيه عينات كبيرة من أجل مساعدة الباحث في الحصول على نتائج دقيقة، وينسب خطأ قليلة، وبالتالي يمكنه من تعميم نتائجه على الدراسة¹.
- ب- استقراء المادة المتعلقة بموضوع البحث؛ وذلك بتتبع عناصره، وحصر أطرافه في كل المظان، والمصادر التي تسعف بتقديم صورة كاملة عن الموضوع (...).
- ج- تدخل الباحث في المنهج الوصفي يكون مقتصرًا على جمع المعلومات، وتقميش البيانات؛ حتى يتمكن من معرفة موضوع البحث معرفة تامة، ودقيقة (...).
- د- قد يكون الغرض من استقراء المادة المعرفية، ضبط تجلياتها؛ سواء على المستوى الكمي، أو على المستوى الكيفي؛
- هـ- يعتبر الوصف، والتشخيص الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الفهم السليم، والتفسير الدقيق. فلا يمكننا أن نوظف المناهج التي ستأتي من بعد توظيفاً علمياً، ما لم تتوفر المعلومات الكافية، والدقيقة عن طريق المنهج الوصفي⁽²⁾.

2.2. مجالات توظيف المنهج الوصفي:

من خلال تعريف المنهج الوصفي، والوقوف على أساليبه يمكن توظيفه في مجالات متعددة منها:

أ) "العمل اللبليوغرافي:

وذلك من خلال جمع أسماء الكتب في علم ما، أو أسماء الكتب المؤلفة في عصر من العصور في مختلف العلوم والفنون، كما فعل ابن النديم في كتابه (الفهرست). ويمكن أن يتعلق العمل اللبليوغرافي بجمع أسماء المؤلفين في علم ما، أو في عصر من العصور. إذ يقتصر عمل الباحث في هذا المجال في جمع المعلومات المتعلقة بالكتاب، أو المؤلف من مختلف المصادر والمراجع، مع ما يستلزم ذلك من التقصي والاستقراء، والتثبت، والتدقيق". ومن مجالات البحث العلمي التي يوظف فيها المنهج الوصفي كذلك؛

1 - ينظر: ريجي مصطفى عليان: البحث العلمي أسسه، مناهجه، وأساليبه، إجراءاته، ص: 49.

2- سعيد حليم، مناهج البحث في العلوم الشرعية، ص: 101.

ج) دراسة الأعلام:

من المجالات العلمية الهامة التي وظف فيها علماؤنا (المنهج الوصفي) دراسة الأعلام؛ "وذلك بجمع المعلومات والمعطيات المتعلقة بهم في كتب التراجم والأعلام؛ إذ تكون هذه المعلومات متناثرة ومتفرقة في مصادر متعددة؛ فيعتمد الباحث إلى جمعها، وتصنيفها؛ للخروج منها بصورة واضحة وشاملة ومكتملة عن العالم المدروس؛ من حيث المرحلة الزمنية التي عاش فيها؛ سياسيا، واجتماعيا، وثقافيا، واقتصاديا. أو من حيث نشأته العلمية على مستوى شيوخه، وأقرانه، وتلامذته، وكتبه. ويمكن أن نمثل لذلك ببعض النماذج:

- الخطيب البغدادي محدثا؛
- الإمام الغزالي أصوليا؛
- الإمام ابن حزم فقيها؛
- الإمام القرافي فقيها؛
- الإمام ابن جريرا مفسرا؛
- الإمام الزمخشري مفسرا¹.

د) الدراسات المصطلحية:

يقول الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله: " الدراسة المصطلحية: هي بحث في المصطلح لمعرفة واقعه الدلالي؛ من حيث مفهومه، وخصائصه المكونة له، وفروعه المتولدة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به"².

"إن الدراسة المصطلحية القائمة على جمع ودراسة المصطلحات، يمكن أن تعتمد: (المنهج الوصفي)؛ للكشف عن الواقع الدلالي للمصطلح. وتعتمد الدراسة المصطلحية في إطار المنهج الوصفي على الخطوات التالية:

- جمع النصوص التي وردت بها المصطلحات موضوع الدراسة؛ جمعا يعتمد الدقة، والتثبت، والاستقراء؛
- تصنيف النصوص بحسب المصطلحات، أو المجالات؛

¹ - سعيد حليم: مناهج البحث في العلوم الشرعية، ص: 102.

² - فريد الأنصاري: المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ص: 56، منشورات معهد الدراسات المصطلحية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1، 1424 هـ/2004 م.

- إحصاء المصطلحات الواردة بالنصوص؛
- دراسة ما وقع عليه الاختيار من المواد الاصطلاحية بالمعاجم اللغوية، فالاصطلاحية؛ دراسة تبتدئ من أقدم ما اعتمد عليه منها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدث ما اعتمد عليه منها مسجلة أهم ما أضاف...
- دراسة مصطلحات تلك المواد بالنصوص المحصاة...
- تحديد معنى أو معاني المصطلح تحديدا يراعى كل نصوص المعنى. ويكون نقلا أمينا - بقدر الإمكان- لكل أو أغلب عناصر المعنى.
- مقارنة التحديد بما أمكن الوقوف عليه من تحديدات الدارسين قدماء كانوا أو محدثين¹.

هـ) إعداد التقارير العلمية:

تعتمد التقارير العلمية؛ سواء المتعلقة بوصف ما في الكتب، أو ما يتعلق بالأشخاص، أو ما يرتبط بالظواهر والحالات؛ على المنهج الوصفي الذي ينقل ويقرر ما في الواقع بكل صدق وأمانة ودقة؛ كـ"المسح الاجتماعي: القضايا الاجتماعية؛ كالزواج والطلاق، والمسح التعليمي: المدارس، الطلبة، المعلمين، والمسح الثقافي: القراءة والمكتبات²... إلخ. والتكشيف أو الفهرسة؛ حيث "يقوم عمل الباحث في (التكشيف) أو (الفهرسة) على ذكر أرقام الصفحات، والأجزاء إن كانت، التي ذكر بها المصطلح، أو العلم أو الموضوع...³.

¹ - مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين ص: 17/16.
² - ينظر: ريجي مصطفى عليان: البحث العلمي، أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته، ص: 49.
³ - سعيد حليم: مناهج البحث في العلوم الشرعية، ص: 105.

خاتمة:

خلص البحث إلى أن المنهج الوصفي هو من أهم مناهج البحث العلمي التي تساعدنا على معرفة حقائق الموضوعات العلمية؛ سواء كانت مفاهيم ومصطلحات، أو أعلاما، أو كتباً، أو غير ذلك من المجالات العلمية. فلا تحليل، ولا مقارنة، ولا تأريخ، إلا بعد وصف وتشخيص ما نريد دراسته، ومعرفة عناصره، وخصائصه، وجميع مكوناته؛ فهناك مجالات محددة يوظف فيها المنهج الوصفي تم التطرق إليها في ثنايا هذا العرض بشكل موجز وهي:

- العمل الببليوغرافي.
- دراسة الأعلام.
- الدراسات المصطلحية.
- إعداد التقارير العلمية.
- التكشيف أو الفهرسة.
- القضايا الاجتماعية.

كما أن المنهج الوصفي من المناهج الأصيلة في العلوم الشرعية؛ لأنه يقوم أساساً على الاستقراء والاستقراء من مناهج التفكير التي اعتمد عليها علماءنا في تأسيس وبناء مختلف العلوم الشرعية، وأن تدخل الباحث في إطاره يكون مقتصرًا على جمع المعلومات وتقميش البيانات.

هذا ما تيسر ذكره في هذه الورقات والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب

العالمين.

ببليوغرافيا

- القرآن الكريم برواية ورش.
- أحمد رضا: معجم متن اللغة دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.
- أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم: منهج البحث في الفقه الإسلامي: خصائصه ونقائصه. بيروت: دار ابن حزم؛ مكة المكرمة، المكتبة المكية، 2000م.
- إميل يعقوب: كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث، ط. جروس، برس، طرابلس، لبنان، [د.ت].
- ابن كثير، إسماعيل أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، بيروت دار الفكر 1980م.
- ابن منظور: لسان العرب دار المعارف، مصر، 1984م.
- الجوهري: الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار الكتاب العربي، مصر، 1956م.
- ربحي مصطفى عليان: البحث العلمي أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته. طباعة: بيت الأفكار الدولية، عمان الأردن.
- فريد الأنصاري: أبعاد البحث في العلوم الشرعية؛ محاولة في التأصيل المنهجي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية مصر العربية، ط 1، 1431 هـ / 2010م.
- فريد الأنصاري: المصطلح الأصولي عند الشاطبي، منشورات معهد الدراسات المصطلحية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1، 1424 هـ / 2004م.
- مصطفى صادق: منهج تدريس الفقه، دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1433 هـ / 2012م.
- محمد فريد وجدي: دائرو معارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1971م.
- سعيد حليم: مناهج البحث في العلوم الشرعية، ط 1، مطبعة أنفو برانت فاس، 2020م.
- وهيب الجبوري: منهج البحث وتحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993م.
- رينيه ديكرت: مقال في المنهج، مقدمة لمقال بعنوان: مدخل لدراسة فلسفة ديكرت لمحمود محمد الخضير، المطبعة السلفية، بالقاهرة، 1930م.